الأدب الجزائري واستراتيجيات التنمية
في ضوء العولمة

أ.د.بشير إبرير
جامعة باجي مختار–عنابة– الجزائر

Abstract

This paper attempts to redraft the concept of literature in light off the findings of the communication and information sciences and the community's dynamism that requires a set of capacities of values, knowledge, and aesthetics, which render the literary text looks meaningful and open to its reality as a mean of development. In other words, this is an attempt to research the relationship between literature and the social community with its diverse components that require a new type of literary practice totally different from the other social and economic practices that target the development. For this, we providea new analysis to the images of tourism inTaharOuettar's novel" Al Zilzal" (the earthquake).

Résumé:

Cet article tend à la reformuler le concept de la littérature à la lumière des conclusions des sciences de l'information et de la communication et le dynamisme de la communauté nécessitant d'un ensemble de capacités de valeurs, de connaissances et d'esthétique qui font apparaitre que le texte littéraire est significatif et ouvert à sa réalité comme moyen de développement.

En d'autres termes, ceci est une tentative de recherche de la relation entre la littérature et la communauté sociale avec ses diverses composantes qui requièrent un nouveau type de pratique littéraire tout à fait différent des autres pratique sociales et économiques visant le développement. Pour ce faire, nous avons fourni une nouvelle analyse

des images du tourisme dans le roman de Tahar Ouettar « Al Zilzal » (Le tremblement de terre).

1-مقدمة:

يسعى هذا البحث إلى التأسيس لضرب من الدراسة الأدبية الهادفة والآخذة في الاعتبار النص الأدبي من حيث هو آلية استراتيجية تسهم بقدر ما في التحوّل الاجتماعي-الاقتصادي. وتحاول رصده وتتبّعه باعتماد الأبعاد الأنثروبولوجية التي تؤسّس المكوّنات الفعلية للخطاب الأدبي.

وتسعى أيضا إلى محاولة إعادة صياغة مفهوم للأدب في ضوء ما وصلت إليه علوم الإعلام والاتصال، وما تحتاجه حركية المجتمع من طاقات معرفية وقيمية وجمالية تجعل النص الأدبي هادفا هو أيضا، منفتحا على واقعه التنموي المتنوّع؛ بمعنى أننا نحاول البحث عن الأدب في علاقته بالمؤسسة الاجتماعية بمختلف منظوماتها، الأمر الذي يحتاج إلى نوع جديد من الممارسة الأدبية المختلفة عن غيرها من الممارسات الاجتماعية-الاقتصادية الهادفة للتنمية والتي تلتقي معها من ناحية أخرى.

يحتاج منا كلّ هذا إلى محاولة تحليل واقع الممارسة الأدبية في بلادنا وتتبّعها تاريخيا من سنة **1962**م إلى الآن بنظرة عجلى مختصرة.

ومحاولة تقديم اقتراحات في شكل استراتيجية ذات أهداف محدّدة مصوغة صياغة مناسبة للمستجدات الحضارية المحيطة بنا، تحتاج —هي أيضا- إلى بناء محتويات جديدة تخص الأدب وتجعله ينفتح على الحياة ومقتضياتها المختلفة المتنوّعة في ضوء عصر العولمة وتحوّلاته ورهاناته ومتطلّباته؛ وبخاصة إذا علمنا أن العولمة تعمل على إعادة تشكيل العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، بما يحقّق مصالح القوي الذي يملك زمام الحل والربط، ومن ذلك الذيوع المتسارع لما يدعى بـ"**ثقافة السوق الكونية**" برأي الدكتور مصطفى محسن[1]، وهي ثقافة ساهمت في إنتاجها وإعادة إنتاجها وترويجها عولمة اقتصادية وشمولية داعمة لتعميم العديد من القيّم والأساليب في الإنتاج والتوزيع والاستهلاك والتبادل وأنماط العيش والسلوك الفردي. الأمر الذي يحتّم علينا كمجتمعات عربية إعادة التفكير وترتيب القناعات، وإعادة صياغة الأفكار وفق خطط استراتيجية مناسبة، تنطلق من أهداف محدّدة لمواجهة أخطار العولمة. وأهم ما يتمّ التركيز عليه في هذا المقام، التنمية البشرية لبناء إنسان له طاقة واقتدار علمي ومعرفي وتقني ولغوي، وإنتاج في الآداب والفنون وإعطائها القيمة اللاّزمة في تكوين رأس المال الدائم والثروة التي لا تفنى التي بها نواجه الآخر

ونتفاعل معه، ونعرفه حقّ المعرفة، ونعرّفه بنا، وننقل إليه ثقافتنا وآدابنا بخصوصياتها وأصالتها ومحليّتها لنصل بها إلى العالمية.

سنبحث في هذا الموضوع جملة من العناصر منها:

2- واقع الممارسة الأدبية في الجزائر: نظرة عجلى مختصرة لبعض من التاريخ:

إن الأدب هو الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في الإنسان والأمة، عبر الزمان والمكان، ولا توجد أمة بلا أدب ولغة، فهما اللذان يصنعان ثقافتها ويصوغان هويتها ويحدّدان أصالتها وخصوصياتها بين الأمم والشعوب.

لقد واكب الأدب الجزائري الثورة وكان وسيلة دفاعية فعّالة ضد المستعمر الفرنسي الذي استهدف اللغة العربية وأدبها، وبالتالي استهدف هويتها وعمل على استئصالها من جذورها. **ولكنها عميقة قصية استعصت عليه فارتد خائبا.** وقد عبّر الأديب الجزائري الذي كان شاهد حال عن الثورة المتأصّلة في أعماقه والمتجذّرة في وجدانه وذاكرته، ونقلها إلى الآخر وإلى الأجيال التي جاءت بعد الثورة.

عبّر عن الثورة والهوية واللغة والدين، قاوم فرنسا إلى أن خرجت من الجزائر مدحورة ذليلة، كانت الرصاصة وكانت الكلمة في قيمة الرصاصة أو تزيد.

لقد بشّر الأديب الجزائري أثناء الثورة بتباشير الصبح، تباشير الاستقلال والحلم بمستقبل الجزائر، عبّر عن ذلك شعرا وقصّة ورواية وبأشكال أخرى من الخطاب في الفن والثقافة والإبداع، في اللوحة الزيتية والأغنية النابعة من أعماق الشعب والمعبّرة عن وجدانه بصدق، ولقد خرجت من القلب فوقعت في القلب:

من جبالنا طلع صوت الأحرار يناديا للاستقلال استقلال وطننا.

لقد كانت "قرائح المبدعين متفتّقة تتفاعل مع الأحداث وتبعث الدفء في الأشياء وتتعالى على الحزن وتتغنى بالأمجاد ومكارم الشهداء والتاريخ المشرق في إصرار على مواصلة الإشعاع الذي دأبت على التميّز به طيلة عقود من الزمن."[2]

ولهذا طاردت فرنسا المثقفين الجزائريين وسجنتهم وقتلتهم ونفتهم، ولكنهم تحدّوا كلّ ذلك وتغنّوا بالحرية والاستقلال، وسجّلوا ما فعله الاستعمار الفرنسي فينا ليبقى شاهدا على التاريخ، وعلى بشاعة المستعمر وإرهابه.

وقد سقط في ميدان الشرف كثير من المبدعين نذكر منهم: القاص أحمد رضا حوحو والعربي التبسي ومولود فرعون، وعلي المعاشي من المغنيين الذي غنى عن حبّه الأوّل الجزائر.

ونذكر من الذين سجنوا، الشاعر مفدي زكريا بسجن بربروس وفيه أبدع روائعه الشعرية التي كانت بمثابة الدبابة أو المدفعية التي مزّق بها أوصال المستعمر الفرنسي.

لقد أقسم بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات في البنود اللاّمعات الخافقات والجبال الشامخات الشاهقات أن تحيا الجزائر.

لقد أقسم بدماء الشهداء وكتب عن الشهداء، فكانت رائعته عن **الذبيح الصاعد** الشهيد أحمد زبانة[3]

ويمكن أن نذكر في هذا المقام أدباء وشعراء وكتابا ونقادا وفلاسفة ومؤرّخين آخرين كتبوا عن الثورة من زوايا متعدّدة.

ولقد استمرّ عطاء الأدب والثقافة الجزائرية بعد الاستقلال معبّرا عن التحوّلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، أي تحوّلات التنمية بصفة عامة، فكانت القصة والرواية والشعر، بل وفنون أخرى مثل المسرح والسينما، والأغنية.

واكب الأدب الجزائري جميع المراحل الاجتماعية والسياسية التي مرّت بها البلاد، ويمكن أن نقسّم هذه المراحل كما يلي:

- من **1962** إلى **1965** ؛ أي من الاستقلال إلى التصحيح الثوري الذي قام به الرئيس الراحل هواري بومدين، وكانت الكتابة الأدبية باللغة العربية آنذاك في بداياتها.

- **وأما المرحلة الثانية فكانت من 1966م إلى 1970م** وهي مرحلة زهو بالثورة من الناحية الأدبية وامتداح لها، والتغني بالبطولات والانتصار على فرنسا.

- **ومرحلة 1970م إلى 1980م** وهي العشرية التي شهد فيها المجتمع الجزائري كثيرا من التحوّلات السياسية والاجتماعية التي كانت لها انعكاسات على الصناعة والزراعة والثقافة، وبالفعل كانت مرحلة ثرية خصبة بالنسبة للإبداع الأدبي والفني بصفة عامة، فكان الشعر وكانت الرواية والقصة والسينما والمسرح والأغاني الجميلة، وذلك بالرغم من أن المرجعية الأساسية التي طبعت المرحلة، وطبعت الإبداعات المختلفة والمتنوّعة تمثّلت في الاشتراكية والفلسفة الماركسية.

- **وأما المرحلة الثالثة فكانت من 1981م إلى 1988م** وفيها شهد المجتمع الجزائري تحوّلات أخرى تختلف عن التي سبقتها؛ فكانت الأزمة الاقتصادية التي ولّدت بعد ذلك أزمة سياسية خانقة، وقد انعكس ذلك على المنتوج الأدبي، وعاش المبدع الجزائري العزلة. فتوقّفت المنشورات والمجلاّت التي كانت تصل الجزائر تباعا ولم تعد تصل، بل إن الهم السياسي كان أكثر استرعاء للانتباه في ظلّ هم اقتصادي خانق وبالرغم من ذلك برزت أسماء كثيرة على مستوى الصحافة الوطنية، كان لها منتوج جيد بعد ذلك.

- **وأما المرحلة الرابعة فكانت من 1989م إلى 1999م**: مرحلة الدم والنار، وكان لذلك تأثيره على المنتوج الثقافي بصفة عامة والمنتوج الأدبي بصفة خاصة، ولكنه أدى إلى إنتاج أدب جديد يعبّر عن تحوّلات جديدة ومرجعيات جديدة بالرغم من استمرار المرجعية التي كانت سائدة من قبل، ولكنها بدأت تغيّر لبوسها؛ لأن الرؤى والتصوّرات صارت هي الأخرى جديدة لها أهداف وآمال وطموحات فرضتها المرحلة.

-**وأما المرحلة الخامسة والأخيرة فكانت ابتداء من سنة 2000م إلى 2014م** وفيها ظهرت متطلّبات أخرى وأهداف وآمال وطموحات إنسان جزائري له مبتغيات تخصّه في جوانب الحياة المختلفة، لقد عبّر الأدب الجزائري عن كلّ هذه المراحل بمختلف تنوّعاتها ومتطلّباتها وبحث في خصوصياتها بأشكال من الخطاب متعدّدة ومنفتحة على القراءة والتجدّد، فكانت الرواية والقصة والشعر، وبرزت أسماء كثيرة .....

ويحتاج إحصاؤها إلى تكوين معجم خاص بكتّاب الرواية، ومعجم خاص بكتّاب القصة ومعجم خاص بالشعراء ومعجم خاص بالنقّاد وكتّاب الدراسات الأدبية.

3- **في مفهوم الاستراتيجية والتفكير الاستراتيجي**: تعدّ الاستراتيجية مفهوما أساسيا في المعرفة الحديثة، فنجدها موظّفة في أنواع كثيرة من الخطاب، وهي تمثّل نوعا من التفكير المستقبلي المبني على خطة تشتمل أهدافا ومنهجية عمل واستشراف للمستقبل، وحسن التخطيط والتدبير للتلاؤم مع المستجدات التي تحتاجها كل مرحلة.

ومن سمات التفكير الاستراتيجي؛ القدرة على وصف الواقع وصفا دقيقا من جميع جوانبه في علاقته بالمنظومات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية. والقدرة على تصنيفه وتحليله تحليلا عميقا من ثمة تقديم الاقتراحات اللاّزمة التي تأخذ بعين الاعتبار كلّ المتغيّرات الاجتماعية والثقافية الوطنية والإقليمية والعربية والمستجدات الحضارية في العالم التي تفرضها العولمة.

إن أي تقدّم حقّقته المجتمعات المختلفة، إنما يعود في أساسه إلى التطوّر الذي حقّقته هذه المجتمعات في الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية والإنسانية، فهي القاطرة التي تقود باقي العربات، وهي التي تنطلق من الخلفيات الفكرية والأبعاد المعرفية والمرجعيات الفلسفية، وهي التي تبني الإنسان المنتج للمعرفة على اختلافها، إنه رأس المال الدائم والثروة التي لا تفنى وبخاصة في مواجهة العولمة وما تبشّر به من خطابات واختراقات للخصوصيات وإعادة ترتيب للقناعات في مجتمع المعرفة الجديد. إن أوّل ما يمكن اقتراحه في ما يخص الأدب الجزائري في علاقته بالعولمة هو:

4- الاستثمار في الأدب:

اعتدنا أن نستعمل كلمة "استثمار" في المجال الاقتصادي الذي يحقّق ربحا واضحا، وكثيرا ما يوصف الأدب بأنه بعيد عن الجانب الاقتصادي وعن الاستثمار وعن التنمية المستدامة وغير هذا من المصطلحات الجديدة وكأن الإنسان الذي يدرسه للترف أو تمضية الوقت، وهذا يطرح أسئلة عديدة لعل أهمها:

ما الفائدة من الأدب؟ ما دوره في المجتمع؟ لماذا ندرسه؟ عندما نتحدّث عن الاستثمار في الأدب، فكأننا نتحدّث **سوق للأدب**، نعم إننا نتحدّث عن **السوق الأدبية**؛ وهي التي تتعلّق بسوق الكتاب وبعملية تسويقه بصفة عامة، ونشره وتوزيعه، وفي هذا تكمن الفائدة والقيمة، أو الربح أو الخسارة، فهنالك أعمال أدبية تحقّق مبيعات ضخمة وتنفذ طبعاتها، الطبعة تلو الأخرى، وهنالك أعمال تظل على الرفوف، والسبب في ذلك تتحكّم فيه عدّة عوامل تجارية بدءا من عنوان الكتاب الذي يطلب من صاحبه –أحيانا- استبداله أو الإضافة إليه أو تعديله ليصبح العنوان تجاريا يناسب السوق، بالإضافة إلى أهمية الموضوع ومدى إقبال القرّاء عليه، والمقام الذي كتب فيه وطريقة معالجته لم يعد الاستثمار مقتصرا على الاقتصاد، وكذلك التنمية صارت تنميات متعددة: تنمية اقتصادية، تنمية بشرية، تنمية سياحية...ولم تعد كلمات من مثل: الربح، والرصيد ورأس

المال، والسوق مقتصرة على الاقتصاد وحده، وإنّما صرنا نوظفها في الدراسة الأدبية واللغوية، فصرنا نقول الربح اللغوي، والسوق اللغوية، أو سوق اللغات والآداب. وعندما نتوغّل في القدم نجد:

5- **سوق عكّاظ أهم سوق للأدب**: فقد أعطى للمعلّقات قيمتها الشعرية والجمالية والرمزية، فكتبت بماء من الذهب وعلّقت على أستار الكعبة، فالكتابة بماء الذهب والتعليق على أستار الكعبة منحاها صفة الأعمال الخالدة في الفن بصفة عامة وفي فن الشعر بصفة خاصة، وهذا ما يدل على قيمة الشعر ومكانته، وقد سوّقت المعلّقات عبر الزمان والمكان فقرأتها الأجيال المختلفة في الأماكن المختلفة وسوّق معها الشعراء الذين أبدعوها: زهير ابن أبي سلمى، وامرؤ القيس، وعمرو بن كلثوم، والنابغة الذبياني، وعنترة العبسي، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة.

لقد تمّ التسويق نظرا لأن المعلّقات والشعراء الذين جادت بها قرائحهم تعدّ رأس مال رمزي وثقافي يظهر بوضوح خصوصيات الشعر ومنزلته، وخصوصيات المكان والمجتمع.

وما تزال المعلّقات تفرض نفسها عند القرّاء، وستظل منفتحة على القراءة إلى ما لا نهاية.

6- **الأدب الجزائري في سوق الآداب العالمية**: يمكن أن نتحدّث عن سوق الآداب ومنه الأدب الجزائري، فقد درس الأدب الجزائري من حيث تاريخه وأنواعه، وأجناسه وأشكال خطابه ومضامينه وخصائصه الفنية ومن حيث توظيفه في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وتسجيل مآثر الثورة الجزائرية والتغني بها، والتعريف بها في مختلف الأسابيع الثقافية مثلا، التي كانت تنظمها البلدان الشقيقة والصديقة في الجزائر وخارجها، ويعدّ هذا في حدّ ذاته، إسهاما في التسويق.

وأذهب إلى أن الأدب الجزائري في حاجة إلى تحديد أهداف جديدة لكتابة أدبية جديدة، **يتجلى من خلالها الجزائري المحلي في مقابل الآخر العالمي**، لا للوقوف ضده، وإنّما لتحقيق التواصل والتفاعل معه ودلك بالرغم من مقولة الشاعر الألماني "غوته" سنة **1827**م: " إن الأدب القومي لم يعد يعني الكثير، لقد بدأ عصر الأدب العالمي، وعلى الجميع أن يسهموا في التعجيل بقدومه"[(4)].

و**لكن من الآداب المحلية ينهض الأدب العالمي**، وهذا هو الهدف الذي –فيما أزعم– يجب أن نعمل على تحقيقه، بأن نجعل الأدب الجزائري أدبا عالميا؛ ولا تظهر عالميته إلاّ إذا احتكّ بغيره من الآداب، يعطيها ويأخذ منها، وينافسها في سوق الآداب بمتلكاته الرمزية ورأس ماله الأدبي واللغوي والثقافي؛ وبخاصة أن" العالم يشهد اليوم كثيرا من التوجهات الثقافية واستراتيجياتها

لإعادة التنمية الحضارية بتنامي الاستهلاك الثقافي للفنون وأصناف الطعام والموضة والموسيقى والسياحة"[6]. وأظهر أصالة خطابه ومجتمعه، وجعل محليّته **ماركة** مسجّلة في سوق السلع الرمزية النفيسة.

إن هذا ينبني على رأس مال آخر أكثر أهمية هو: رأس المال البشري، أو التنمية البشرية. ودور الفنون والآداب هنا عظيم في بناء الإنسان.

يتساءل "تزيفيطان تودوروف " في كتابه " الأدب في خطر"[7]: ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، قائلا:" ماذا يستطيع الأدب؟ وللإجابة عن السؤال يبحث في السيرة الذاتية للفيلسوف "جون ستوارت مل"، الذي يروي تعرضه لانهيار عصبي خطير أصيب به في العشرين من عمره، وصار فاقد الحس بكل إحساس ممتع في واحدة من تلك اللحظات من انحراف المزاج ... وكل أنواع العلاج التي جرّبها لم تجد نفعا، واستقر اكتئابه على الدوام. وكان السبب في شفائه كتاب قرأه مصادفة وهو ديوان شعر للشاعر الإنجليزي" وردزوورث" يقول ستوارت مل:"بعد قراءته للديوان واصفا إحساساته:" بدت لي منبعا استقي منه الفرح الباطني، ومتع التعاطف والخيال، التي بمقدور كل الكائنات البشرية اقتسامها ... كنت في حاجة إلى من يجعلني أحس أنه يوجد في التأمل الهادئ لأشكال الجمال في الطبيعة سعادة حقيقية ودائمة. علمني "وردزوورث إياها ليس فحسب دون أن يصدني عن تأمل العواطف العادية ومصير الإنسانية المشترك، بل بمضاعفة اهتمامي به."[8].

إن الأدب –برأي طودوروف" – يستطيع أن يمد لنا يد العون حين نكون في أعماق الاكتئاب، ويقودنا نحو الكائنات البشرية من حولنا ويجعلنا أفضل فهما للعالم، ويعيننا على أن نحيا [9] . ولِمَ لا يعيننا على تحقيق قضايا أخرى مثلا: **تحقيق تنمية مستدامة، تتأسس على ثروة التجارب الإنسانية الخصبة، وتتشرّبها وتعمل على تخصيبها في ميادين كثيرة ومنها ميدان: السياحة الثري الخصيب.**

7- الأدب الجزائري والسياحة:

نتحدّث هنا عن الجزائر وعن السياحة وعن الأدب، فالجزائر بلد شاسع مترامي الأطراف أول مساحة في إفريقيا، له مناظر طبيعية عذراء خلاّبة جلاّبة للسياح، وله فضاءات سياحية عجيبة مفتوحة على الحياة؛ صحراء شاسعة، ساحل طويل قرابة **1200كلم**، به شواطئ متعدّدة نابضة بالحركة، وجبال عالية شامخة كأنها تعلّمنا الأخلاق، وتعلّمنا البطولة وهي شاهدة على ما فعله

المستعمر الفرنسي في الجزائريين ماديا ومعنويا، لقد صارت هذه الجبال بمثابة معالم تاريخية في الطبيعة الحيّة: جبال الأوراس وجرجرة والبيبان والظهرة ....

وإلى جانب هذا يوجد جنوب كبير غني بالعجائب والغرائب والطقوس الرمزية ورقصات الرجل الأزرق وأهازيج البدو الطوارق ...

لا تخلو أية مدينة جزائرية من آثار تاريخية تصلح للاستثمار السياحي.

كل هذه الأماكن وغيرها قد كتب عنها الأدباء الجزائريون، كل بطريقته، غير أن الطاهر وطار – رحمه الله– كان متميّزا متفرّدا في كتابته عن مدينة قسنطينة في رواية "**الزلزال**" وسنعود إليها.

وأما السياحة؛ فهي خطاب كلي متشابك ومتفاعل مع منظومات المجتمع المختلفة السياسية والقانونية والإعلامية والدينية والمالية والأمنية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وكل ما تعلّق بالآداب والفنون صانعة الإنسان والمعبّرة عنه.

وبكلمة واحدة: السياحة مجال استثماري بالنسبة للجزائر يدر من الربح ومن الأموال إن وجد حسن التدبير، والسياحة مجال ثري خصب وأساس من أسس التنمية المستدامة التي تحرّك المجتمع بمختلف آلياته، وبخاصة إذا علمنا أن التنمية حاليا قائمة على المعرفة.

وهنا تكمن أهمية الأدب؛ إذ يمكن توظيف الكتابات المختلفة التي تجود بها قرائح المبدعين في التعبير عن الجانب السياحي من الوطن، ونقل التفاصيل الاجتماعية المتنوّعة للآخر في قالب أدبي يعرّفه بما لا يعرف، ويكشف له عمّا لم يره من قبل. ومتعة السائح أن يكتشف العادات والتقاليد والتاريخ والأفراح والمنجزات المادية والمعنوية وأعظمها على الإطلاق أن يكتشف لغة ويكتسبها، وأن يقرأ أدبا له أصالة.

يمكن أن نختار –في هذا المقام –الحديث عن علاقة الرواية بالسياحة، لأن الرواية جنس أدبي متميّز له خصائصه المعرفية واللغوية والفنية والجمالية، وهو مصدر من مصادر المتعة من ناحية، ومصدر للمعرفة من ناحية ثانية.

ثم إن الرواية تتّسع للتعبير عن مختلف تجارب الإنسان وحاجاته وهمومه وعلاقاته الاجتماعية، ومن هنا اخترت الحديث عن رواية الطاهر وطار "الزلزال" التي يمكن أن نقرأها من منظور سياحي، لما تتوفّر عليه من خصائص وأوصاف لفضاءات متنوّعة يمكن أن تأخذ باهتمامات السائح. فقد ضمّنها المرحوم الطاهر وطار أوصافا دقيقة وتفاصيل كثيرة تجعل من القارئ لهذه الرواية "الزلزال"

كأنه يقوم بجولة في مدينة قسنطينة مع الشخصية الأساسية فيها وهي الشيخ "عبد المجيد بولرواح". وبالرغم من أن الرواية قد كتبت في مقام معيّن وانطلقت من خلفيات محدّدة، ولها أهداف تريد أن تكشف عنها، فقد سمحت لنفسي أن أقرأها من هذا المنظور الذي يخص السياحة، وهي قراءة لم أعهدها من فقد رأيت أن الأدب الجزائري لكي يحقّق عالميته، عليه أن ينطلق من محلّيته أولا، ورأيت أن السياحة مشروع يطال كل المنظومات الاجتماعية بما فيها اللغة والأدب والثقافة، وبواسطتها يمكن أن ننشر أدبنا ونعرّف العالم بنا وبأدبنا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجعل من الأدب وسيلة لمورد اقتصادي تنموي أساسه المعرفة الأدبية مع السياحة التي تظهر هذه العملية وتعمل على نقلها للعالمية la mondialisation وتعدّ رواية "الزلزال" رواية قسنطينة حصريا، فقد عبّرت الرواية عن المدينة ونقلتها من واقعها الحقيقي إلى معادل موضوعي فني؛ فالزلزال هي نص المدينة وقسنطينة هي مدينة النص، المكان الحي النابض بالحركة والحياة له حدود جغرافية تميّزه عن غيره من الأمكنة، فهو مكان مغلق "يجسّد في النصوص في شكل صوّر مكانية مختلفة مألوفة مثل: الدار والمدينة والوطن.

وتتّصف هذه الصوّر بصفات معيّنة مثل:

"الألفة والدفء أو الأمان..."[10]

إن الأمكنة في هذه الرواية أمكنة بصرية تعتمد على المرئيات، لهذا فهي محسوسة معروفة ومحدّدة بحدود وموسومة بعلامات كثيرة. تكمن شعريتها في واقعيتها.

توجد علاقة حميمية بين قسنطينة والطاهر وطار، وقد كتب ذات يوم معترفا: قسنطينة حبيبتي؛ وقد أدى به ذلك الحب إلى وصفها بأنها:"مثل الكعبة"[11].

وقد تجلّت محبّته لها في كونه جعل من "الزلزال" معادلا موضوعيا أعاد من خلاله إنتاج الواقع الخام وحوّله إلى مادة روائية، فصولها جسور وأحياء في قسنطينة، نقرأها فصلا فصلا، ونسيرها حيا حيا، وجسرا جسرا من خلال شخصية "عبد المجيد بولرواح"، إن الانطلاق من الواقع وتحويله إلى مادة إبداعية تسردها القصة أو الرواية أو الشعر، هو الذي يجعل الأدب في مصاف العالمية.

تتألّف الرواية من سبعة فصول هي:

باب القنطرة

سيدي مسيد

سيدي راشد

مجاز الغنم

جسر المصعد

جسر الشياطين

جسر الهواء

وهي أسماء لأحياء وجسور في قسنطينة.

تمثّل الجسور هنا رموزا للتواصل؛ فهي تؤدي وظيفة الربط بين أحياء قسنطينة وساحاتها، وهي بمثابة الشرايين التي توصل الدماء إلى القلب، قسنطينة المركز الوسط الذي يلتقي فيه الجميع. ثم إن المدينة تعرف وتوصف دائما بأنها مدينة الجسور المعلّقة الماسكة بزمام المدينة تحميها وتشعرها بالأمان، وهي من الناحية السياحية كل جسر يمثّل منظرا جماليا متميّزا، ولوحة فنية تبيّن العلاقة الحميمية بين الجسر أوالجسور بالمدينة، وتظهر الألفة الدائمة بينهما، كل جسر له حكاية مع المدينة وله وظيفة يؤديها. وما أحوج السائح إلى الاكتشاف عندما نجعله يتجوّل عبر هذه الجسور ويدخل المدينة ويخرج منها، فيحس أحيانا بالوحشة وأخرى بالدهشة والخوف، ولكنه حتما سيحس بالمتعة التي سيدفع من أجلها الغالي النفيس.

تتمثّل **أصالة هذه الرواية**، أي جملة الصفات المميّزة لها في بلاغة الوصف الذي تمثّل في: وصف الأحياء والشوارع والأزقّة والأنهج والمتاجر والسلع بأنواعها الجيّد منها والرديء، والمقاهي والمطاعم والمساجد والزوايا والأولياء الصالحين والمدارس والساحات العامة والفنادق والجسور والصخور والطرقات والمسالك الصعبة والحانات والمعاهر والنساء والرجال والأطفال، وسلوكاتهم اليومية المتنوّعة...في حركاتهم وسكناتهم وتخاطبهم ولغتهم وأنشطتهم اليومية، كما وصف اللصوص والعشّاق والمجانين...وأذهب إلى أن مَنْ يقرأ رواية "الزلزال" وهو لا يعرف قسنطينة ولم يزرها في حياته سيأخذ فكرة واضحة عنها.

فسيعرف مثلا بأنها مدينة صخرية، بها سبعة جسور، طرقاتها ملتوية صعبة المسالك، فهي ليست كعنابة أو سطيف منبسطة. وهي أيضا عاصمة للإصلاح والدين والعروبة.

وقد وصف الطاهر وطار جسر باب القنطرة بأنه "أفضل جسور قسنطينة على الاطلاق" [12] ووصف الجسر المعلّق بأنه "إله قسنطينة"[13]. يشكّل الوصف(الذي وصف به الطاهر وطار قسنطينة مصدرا من مصادر المتعة في هذا العمل الروائي المتميّز.

وبرأي الدكتور محمح مصايف –رحمه الله– :"هذا الوصف هو ما ينبغي أن يلح عليه المرء كلّما تحدّث عن هذا العمل الروائي للطاهر وطار"[14] تعدّ هذه الأوصاف بمثابة الدليل العام الذي يمكن لسائح متجوّل يزور قسنطينة أن يستدل به على الأماكن المختلفة، وميزة هذا الدليل أنه كتب بلغة أدبية جذّابة.

ويمكن أن نقدّم الأمثلة الآتية أيضا وهي:

1-وصف للشوارع والأزقّة:

تقرأ في الصفحة 69 من الرواية:"خرج من بين المقاعد والمناضد ووجد نفسه في ملتقى الطرق. على اليسار شارع زيروت يوسف، بعده، شارع لا يدري عنوانه...بعده شارع التاسع عشر ماي، نهج فرنسا السابق، بعده شارع العربي بن مهيدي، ثم مسارب سيدي راشد، وعلى اليمين تماما، المنحدر نحو ساحة الشهداء، ثم التفرعات والانطلاقات صعودا وهبوطا، يمينا وشمالا، وفي كلّ الاتجاهات. أهمية الطرقات في قسنطينة أعظم من أهمية المباني والمساكن..."

فهذه الأوصاف هي أوصاف عارفٍ بقسنطينة معرفة دقيقة من الشارع إلى الزقاق إلى النهج إلى المسرب، ثم يركّز على أهمية الطرقات في مقابل أهمية المباني والمساكن، وكأنه عالم تبوغرافي، ونقرأ ملاحظات دقيقة عن دلالات أسماء الشوارع في هذه اللوحة: "عندما خرج إلى زيروت يوسف المتمم لشارع يوغسلافيا، التفت إلى الخلف وتأمل الثكنة. الميَلان من هنا أوضح. أشد لا شكّ أنها انشقت في الوسط حتى تميل كل هذا الميلان، في اتجاهين متعاكسين. انحدر قليلا ووجد نفسه في شارع يوغسلافيا، وتساءل: كيف أتاحت لهم عبقريتهم الاهتداء إلى تقسيم الشارع بهذا الشكل؟ نصفه لشهيد بطل ونصفه لبلد شيوعي، في العاصمة أيضا هناك شارع مقسّم بين زيروت وتشي غفارة"[15]. فالتعاكس بين الشارعين في الاتجاه وفي الاسم له دلالته الإيديولوجية، وبخاصة إذا قرأنا "الزلزال" بالنظر إلى الخلفيات الفلسفية التي تأسست عليها.

كما يلاحظ القارئ للرواية حضور مدينة الجزائر العاصمة باعتبارها صانعة القرار وبيدها الحل والربط.

إن أوصاف الطاهر وطار لقسنطينة لا تخلو من النقد لأوضاع كثيرة، نقرأ النص الآتي:

"الساحة تغلي، الغادون الرائحون، أكثر من الجالسين...أكشاك الثلج متزاحمة بشكل مخجل عناوينها، مهما دلت على جهل أصحابها، فإنها تدل على انتهازيتهم. "مثلجات الشريعة" واحد من المليون من سكان غير ولاية العاصمة يعرف معنى الكلمة، أو يربطها بجبل الشريعة، حتى شريعة تبسّة ليست شعارا للثلج أو الجليد. "جزيرة الجليد"، لعله قصد البحيرة، لكن ما علاقة الجليد برسم إله اليابان الذي يفصل بين المضاف والمضاف إليه، "جليد سيبيريا".ى هذا معقول لو لم تكن سيبيريا تحت حكم الشيوعيين. "مون بلان" هذا اسم موروث ما في ذلك شك."القلية".نسبة إلى مدينة القل. هذا تعمّد صارخ على الجهوية، وإلا ما علاقة القل الواقعة على البحر بالجليد، لو نسبها إلى إحدى بلدياتها لكان معقولا..."تامالوس" أو "الزيتونة" أو "عين قشرة"."مرحبا بكم" لو وضع لفظة "تعالوا" لكان أفضل وإلا ما معنى "بكم" هذه. "نجمة الثلج" كلام لا معنى له.

أولئك الذين لم يضعوا عناوين لأكشاكهم، ربما خشوا أن يتورّطوا مع الثلج أو الجليد، حتى إذا ما جاء الشتاء لم يستطيعوا ممارسة تجارة أخرى."[16].

جاءت هذه الملاحظات على لسان الشيخ عبد المجيد بولرواح، الشخصية الأساسية في "الزلزال"، وكأنه مدقّق لغوي يقدم تصحيحات لغوية لتسميات أكشاك المثلجات من حيث المعجم والدلالة، ويقدّم فيها قراءاته الخاصة، وهي في جميع الحالات تظهر أن للرجل دراية بالمكان. وله ثقافة ومعرفة بالمثلجات ومعرفة اجتماعية ولغوية بما يصح وما لا يصح اجتماعيا ولغويا، ثم إن له نظرة سياسية تدلّ عليها قراءته للتسميات المختلفة وطريقة تأويلية لها.

إن جسر **سيدي راشد** هو المدينة كما يقول وطار واصفا:"جسر سيدي راشد يشكّل هلالا، ينطلق من صدر المدينة، بأقواس ضيقة مضاعفة وعندما يبلغ ضريح سيدي راشد يفحّج على كامل الوادي في شموخ واعتداد، تحت قدميه، تبدو المباني ألوانا زاهية ولا غير، وتبدو حافتا الأخدود العظيم، كأنها في صراع معه، تحاولان أن تلتئما ويأبى هو. الأخدود يبدأ كبيرا في الأعلى، ثم يروح يضيق. الماء الداكن يلمع في الأسفل، وفوقه بقليل جسر صغير يعجّ بالحركة، ممر سكان حي جنان التشينة الذي يبدو وكأنه جزء من حي باردو، فصلته الأقدار لسبب من أسباب، الحي يمتد حتى

السفح من أسفل الوادي حتى هضبة سيد مبروك ثم يولّي أعقابه متعجلا الانحدار نحو الوادي، تنقطع الأكواخ والمباني فجأة، لتنهض بدلها رواب عارية، ثم حي "روماني" الملتف حول نفسه في خجل، حتى مجاز الغنم، الجسر يمتد في تواضع على طول عشرين مترا تقريبا، لكن الأهم أن واضعيه فكّروا في أنه وقتي ولا شك... هذا أصدق الجسور على الإطلاق..."[17].

يبلغ طول هذا الجسر 447مترا وعرضه **12مترا** أما علوه، فيقدر **بـ105مترا** ويحتوي الجسر على **27** قوسا قطره أكبرها **70** مترا، شرع الفرنسيون في بنائه سنة **1908م**، وتم تدشينه في **1912م**[18] وهو يحمل الجهة التابع لها، "هذه الجهة كلّها تابعة لسيدي راشد وهي قسنطينة الحقيقية"[19]. تبيّن هذه الأوصاف الدقيقة قدرة الروائي الطاهر وطار على الوصف فقد وصف الجسر وكأنه لوحة فنية جميلة مصرّة على الخلود رغم مرور الزمان وتعاقب الأجيال التي مرّت ولازالت فوقه ...يتحدى العربات الضخمة والشاحنات الكبيرة، هذا الجسر لن ينكسر. سيظل جسرا ولو بقي بدون واد يمر أسفله ولو ذهبت قواعده، إنه شحنة من إصرار الإنسان على التحدي والمكابرة، بل إنه رمز لطموح الإنسان إلى المساهمة في الخلق."[20].

سيدي راشد روعة إبداعية صنعها الإنسان، ليكون قبلة لكل من تستهويه الجسور، كما أن أسفله يوجد ضريح سيدي راشد. وبكلمة واحدة فإن جسر سيدي راشد وبقية الجسور الأخرى بالمدينة هي عبارة عن تشكيل هندسي متفرّد مفتوح على القراءة والتأويل، وهي من الناحية السياحية تشكّل سلطة رمزية تشتغل سيميائيا داخل المجال الثقافي، وتعدّ علامات دالة على أفكار الإنسان وعواطفه وتوجهاته[21]ونشاطاته المختلفة، إذ إن السائح الذي يذهب إلى قسنطينة يلاحظ أولا هذه الجسور كيف تربط بين أوصال المدينة، وكيف يحقّق التواصل بين الأمكنة المختلفة فيها.

تمكن الإشارة هنا إلى أن أهم السمات المميّزة لرواية "الزلزال" هو تشابك الأمكنة، فبينها علاقات متبادلة باستمرار، أو إن شئت وشائج قربى وعلاقات نسب، فهي لا تحيا إلا من خلال ذلك التشابك، وأحياء قسنطينة هي كذلك، هذا الحي ينبني على الآخر، وذاك يأخذ من الآخر ويعطيه، فالعلاقة بينهما حميمية جدا.

إن العلاقات بين الأمكنة هي –في الحقيقة– هي علاقات بين الناس في نشاطاتهم المختلفة، لأن المكان من الظواهر أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيّرة... تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/العادية مثل: الاتصال والمسافة. إن لغة العلاقات المكانية وسيلة من

الوسائل الرئيسية لوصف الواقع[22]. لا تقتصر شبكة العلاقات المكانية على أحياء قسنطينة وجسورها وشوارعها وأنهجها وساحاتها ...وأناسها فحسب؛ وإنما تمتد لتكون شبكة من العلاقات مع المدن الأخرى المجاورة.

يستعلي جسر سيدي راشد على وادي الرمال ومنه يمكن رؤية البنايات الأخرى وحافتي الأخدود كما جاء في الوصف. وإن شرف الاستعلاء الذي يميّزه يسقطه على السائرين عليه، "فقد بني جسر سيدي راشد ليحمل الأشراف والأعيان."[23].

إن هنالك فضاءات للشوارع وما بها من محلات مختلفة: مطاعم، مقاه، ساحات، دكاكين، بنايات...تشكّل مشهدا سياحيا مثيرا، فطرقات قسنطينة ليست مخصّصة للسير فقط وإنما أصبحت منبعا للتأمّل.

تنتظم شوارع مدينة قسنطينة في تقسيماتها، فنجد المباني تتخللها الطرقات، والأشجار بين العمارات، كذلك لا تخلو من الحدائق والهضبات الملتفة حولها.

أما عن المباني المحفوفة بألوان الطبيعة المتدرّجة فقد شكّلت لوحتها الزيتية الخاصة بها "في الأمام تقوم خلفية الساحة الكبرى، بناية المسرح والبريد، ومقر الحرس الفرنسي المتجوّل، ثم على امتداد البصر يسارا وانطلاقا من نزل سيرتا تقوم العمارات الشاهقة ذات النوافذ الكبيرة والألوان الجادة...وعندما يقع البصر على الأرض محصودة أو محروثة، يشعر الإنسان بالاطمئنان إلى أن نعمة الله، لا تزال مسبوغة على عباده الصالحين، وأن رحمته لا تزال نازلة عليهم[24].

2- وصفه لفضاءات التراث المعماري [25]

تزخر مدينة قسنطينة بتراث معماري متميّز ظل صامدا يروي قصصه للأجيال نذكر منها: **قصبة قسنطينة** وهي حي شعبي فرض حضوره في المدينة، وتتمركز القصبة في مرتفعات مدينة قسنطينة. وتوحي بناياتها بالأصالة والعراقة حتى إنها صنّفت من قبل اليونسكو ضمن التراث العمراني ونصّت على وجوب المحافظة عليه.

و**كذلك الحي الروماني** [26] : وهو تراث عمراني تركه الرومان خلفهم، بصمة تاريخية تشير إلى كونهم من السبّاقين إلى التواجد في قسنطينة. وكذلك درب السواح على حافة الصخرة العظيمة.

3- وصفه للفضاءات الدينية:

من الفضاءات التي طالها الوصف، الفضاءات الدينية التي تتمثّل في المساجد والكنائس والزوايا، ونذكر من المساجد في قسنطينة: "الجامع الأخضر، وجامع ميمون، وزاوية المصلى على اليمين، وقربها جامع الباي وجامع سيد قمرش في آخر الدرب المقابل[27] ونذكر من الكنائس كنيسة النصارى[28] ومن الزوايا زاوية الكتانية[29] وزاوية سيدي عبد المومن التي تمثّل أمارات أمل في الحياة كما جاء في الرواية وزاوية سيدي راشد[30]. وقد لازمت المدينة المساجد بالرغم من التغيّرات العديدة التي طرأت عليها، وتعدّ المساجد والزوايا والأضرحة منبع فخر للمدينة. دون أن ننسى مسجد الأمير عبد القادر. يمكن التأسيس لسياحة دينية لها تاريخها في قسنطينة ولها فوائدها في التعبير عن المدينة.

يمكن أن نختصر فضاءات السياحة بقسنطينة في الفضاءات الاجتماعية مثل: المقاهي والأسواق، فللمقهى وظيفة اجتماعية على درجة بالغة من الأهمية، تبيّن الطبقات الاجتماعية، من المقهى الشعبي إلى مقهى الهاي هاي، وحسب تطوّرات المجتمع والمرتادين للمقهى، إنها ثاني الأماكن التي يؤمّها الناس بعد المساجد، ومن جميع الفئات، من التلاميذ والطلبة والمثقفين إلى التجار إلى الفنّانين. وأما السوق فيعبّر عن الحركة التجارية النشيطة، وقد شكّل مع المقهى حضورا لافتا في رواية "الزلزال" وفضاء نابضا بالحركة والنشاط.

و**الفضاءات الخدماتية** : المتمثّلة في المطاعم والفنادق.

و**الفضاءات العلمية** :وكما هو معروف أن مدينة قسنطينة هي مدينة العلم والعلماء، مدينة عبد الحميد بن باديس.

و**فضاءات أخرى عديدة**:

مثل **فضاء الناس**: فيقدّم الطاهر وطار أوصافا تدلّ على مدى درايته بتاريخ قسنطينة وسكانها الأصليين، ولذلك يقدّم لنا لوحة أخرى عن خصائص الأشخاص الوافدين إليها نقرأ في "الزلزال": " فالوجوه أيضا تتميّز في قسنطينة، الملامح تختلف من شخص لآخر، القامات كذلك، زمن الاستعمار كانت الملامح عامة؛ أوربية وعربية، أما الآن، فلا، ملامح الشاوي الصاعد من "عين البيضاء"، أو "عين مليلة" أو "باتنة" أو "خنشلة" أو "شلغوم العيد" واضحة، وملامح "الفرجيوي" القادم من فج مزالة، أو "الميلي" أو القلي" بمختلف أنواعه، أو "السكيكدي" أو

"الزناتي" و"العزابي واضحة أيضا. الملامح كالروائح تعلن عن نفسها بنفسها بشكل صارخ في هذه المدينة".[31].

تظهر هذه الأوصاف أن قسنطينة مدينة مرتفعة مقارنة بالمدن التي ذكرت في النص، وفي خضم هذا ضاعت ملامح القسنطيني الأصيل الذي يأبى"أن يعلن عن نفسه"[32]، ومع ذلك فهو معروف بخصوصياته مثل طريقة عصب عمامته التي تدلّ على أنه قسنطيني صميم "تبدو على ملامحه الهيبة والوقار.[33]

تظهر هذه الأوصاف التي قدّمها الطاهر وطار، قدرة الروائي على الغوص في أعماق المدينة، وقراءتها باعتبارها نصّا له قدرة وطاقة عاليتين للبوح بالسر وتفجير المكبوت، وللتمنّع عن البوح ومواصلة كتمان السر، إلا لمن له القدرة على القراءة والتأمّل. ولقد كان الطاهر وطار في قراءته لملامح الناس ووجوههم كأنه عالم أنثروبولوجي يحدّد هوية الأجناس والأعراق وخصوصيات الساكنة. ومن ناحية أخرى فإن الطاهر وطار بهذه الأوصاف، وفّر للدارس الأنثروبولوجي مادة للدراسة والتحليل.

وقد يكون هذا الدارس الأنثروبولوجي سائحا زار قسنطينة أو سيزورها.

فضاء الأغاني: تظهر الأغاني عمق المدينة وهي تتنوّع بتنوّع الأذواق وبحسب مستويات المستمعين لها، وقد حضرت أغاني الفرقاني مثل "ياسيدي الطالب داوبني" و" السانية والبير والناعورة" وأغاني الشيخ الكرد "طهّر يالمطهر" وعيسى الجرموني "يا عين الكرمة واعطيني الأخبار" بالإضافة إلى هذا نذكر أيضا فضاء التماثيل مثل ما جاء في الرواية: " آه تمثال القديسة جان دارك بخاصة متأهب لطيران لم يتم منذ عهد بعيد"[34]. و"فضاء الصخرة الملساء، المنحدرة مع جانبي الأخدود..."[35].

و**محصول الحديث بعد كل هذا** : أن الطاهر وطار استطاع أن ينقل مدينة قسنطينة المدينة الحقيقية من حيزها المكاني وحدودها الجغرافية المضبوطة إلى عمل روائي متميّز منفتح على تعدّد القراءات وتجدّدها وبالرغم من كونه قد اعتمد على واقعية التفاصيل فإن حبكة العمل الفني وخصوصيات الأمكنة والشخصيات، وخاصة بو الأرواح، تجعله يتجاوز الواقع الحرفي من خلال شكل يتميّز بجرأة خارقة. ويتميّز بلغة قريبة جدا من الخطاب اليومي المتداول، هو خطاب يتماشى كثيرا –في نظري– مع الحديث عن المدينة ويعبّر عنها بفاعلية تحرز المنفعة وتوافق الحال وما يجب

لكل مقام من المقال، لأن كلام الناس في طبقات كما الناس أنفسهم في طبقات على رأي أبي عثمان الجاحظ (ت**255**هـ). وهذا يشكّل في تحليل الخطاب ميدانا مستقلا بنفسه هو: "الإثنوميتدودولوجيا" الذي يدخل ضمن تخصص علمي دقيق هو: اللسانيات الاجتماعية la sociolinguistique.

لقد خلّد الطاهر وطار حبيبته قسنطينة بهذا العمل الروائي المتميّز وبرهن فعلا أن بينهما ألفة ومحبّة ومودّة.

"والمكان الذي نحبّه يرفض أن يبقى منغلقا بشكل دائم، إنه يتوزّع ويتجه إلى مختلف الأماكن دون صعوبة ويتحرّك نحو أزمنة أخرى."[36].

خاتمة: حاولت في هذا الموضوع أن نطرح إشكالا رأيت أنه مهم وهو علاقة الأدب الجزائري باستراتيجيات التنمية بمختلف تنوّعاتها، من التنمية البشرية إلى التنمية الاقتصادية، وكيف يصبح الأدب قادرا على الإسهام في حركية المجتمع وما تحتاجه من طاقات معرفية وجمالية تجعل النص الأدبي منفتحا على واقعه التنموي المتنوّع، وذلك في ضوء العولمة وفلسفتها في تحليل المجتمعات وتوجيهها نحو أهداف محدّدة، مصوغة صياغة محدّدة لإعادة تشكيل العالم ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا بما يحقّق مصالح القوي ويحافظ عليها، ومن ذلك أن أصبح كلّ شيء قابلا للاستهلاك وللتسويق.

ولهذا رأيت أنه من الممكن أن نستثمر في الأدب ونجعل للأدب سوقا تخصه، نسوق من خلالها أدبنا الجزائري بما يحمل من خصوصيات محلية متنوّعة في الأشكال والمحتويات والأجناس الأدبية، ونعرّف الآخر بها ليعرّفنا من خلالها، وأن نعمل على جعل الأدب الجزائري أدبا عالميا انطلاقا من محلّيته، لأن الأدب العالمي ينهض على الآداب المحلية، ولا تظهر عالمية الأدب إلاّ إذا احتكّ بغيره في سوق الآداب ونافسها واستثمر رأس ماله الرمزي، وحوّل محلّيته إلى ماركة مسجّلة في سوق السلع الرمزية النفيسة، بغية تحقيق تنمية مستدامة، تتأسس على ثروة التجارب الإنسانية الخصبة، وتنتشر بها وتعمل على تخصيبها في ميادين كثيرة، منها ميدان السياحة، الثري الخصب؛ وهو المشروع الاستراتيجي الذي إذا ربطناه بالأدب حقّقنا أرباحا متنوّعة في الأدب والسياحة والاقتصاد والتنمية، وحقّقنا عالمية الأدب الجزائري.

وقد اخترت رواية "الزلزال" في هذا المقام، وحاولت أن أقرأها قراءة –أزعم أنها جديدة– حاولت من خلالها أن أوضّح الفضاءات السياحية التي تكمن في قسنطينة وتميّزها من الناحية السياحية، وكيف أن الأثر الأدبي وبخاصة الرواية يمكن أن يستثمرها هو أيضا في السياحة وفي التنمية ويكون عنصرا من عناصرها الاستراتيجية

المراجع:

1- انظر مصطفى محسن، التربية وتحوّلات عصر العولمة: مداخل للنقد والاستشراق، المركز الثقافي العربي، ص7 وما بعدها.
2- انظر خطاب الرئيس بمناسبة جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري، يوم 1999/06/07.
3-الشهيد أحمد زبانة، أول شهيد جزائري تعدمه فرنسا بالمقصلة.
4- ثائر ديب، سوق السرد، انتشار الرواية عبر الترجمة ومفاعليه، مجلة العربي، ع664، مارس 2014، ص76.
5-يوجد فرق بين العالمية والعولمة، فالعالمية تقابل المصطلح الأجنبي **globalisation** بينما تقابل العالمية المصطلح الأجنبي **Mondialisation**.
6- فرانشيسكو خافيار كاريللو، مدن المعرفة: المداخل والخبرات والرؤى، ترجمة خالد علي يوسف، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم 381، أكتوبر 2011، ص154، 155.
7- تزيفيطان تودوروف، الأدب في خطر، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2007، ص43.
8- المرجع نفسه، ص 45.
9- المرجع نفسه، ص45.
10- عز الدين المناصرة، نص الوطن وطن النص: شهادة في شعرية الأمكنة، مجلة التبيين، ع1، جمعية الجاحظية، ص40.
11- الطاهر وطار، رواية الزلزال، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1974، ص9.
12- الزلزال، ص 10.
13- الزلزال، ص11.
14- محمد مصايف، الرواية الجزائرية العربية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، 1983، ص79، وما بعدها.
15- الزلزال، ص43، 44.
16- الزلزال، ص50، 51.
17- الزلزال، ص 162.
18- انظر منتدى "ارحل" .ATTP:// forum. Com / erahel-5244.html
19- الزلزال ص56.
20- الزلزال ص104.,

21- انظر:حسين خمري، في سلطة الرمز سيميائية القراءة، الملتقى الدولي السيميائية والنص الأدبي، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار-عنابة. سنة 1999.